الفصل الأول

طه حسين طالبا فى الجامعة

علاقة طه حسين [1] بالجامعة المصرية علاقة قديمة ، وتاريخه معها تاريخ طويل، بدأ منذ انشائها ، فعندما فتحت الجامعة الأهلية أبوابها عام ١٩٠٨ [2] عرف طريقه اليها ، وكانت مرحلة انتقال ذات أثر كبير فى حياته فقد انتظم فى دروسها وأقبل يتلقى علوم العصر ومعارفه على مناهج وأساليب لم يعهدها فى أثناء دراسته بالأزهر، فقد رأى فى الأزهر بيئة محافظة سلفية كادت تحيل العقول الى أجهزة تعتمد على المحفوظ من المتون والحواشى دون امعان الفكر بالتحليل والدراسة فى هذه المتون والحواشى فى حين وجد فى الجامعة بيئة تكبر من شأن الفرد وتحترم قدرته على التفكير ، وتعينه على النقد

---

(١) ولد طه حسين فى عزبة « الكيلو » احدى قرى مركز مغاغة بمحافظة المنيا فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ ، وقد فقد بصره فى الثالثة من عمره، ولكن عوض عن ذلك بذكاء حاد وذاكرة قوية ، وبعد ان حفظ القرآن الكريم والم بالعلوم الدينية والعربية أرسل الى القاهرة ليتلقى العلم بالأزهر الشريف . وكان ذلك عام ١٩٠٢ فحضر دروسه الا انه اخذ يتبرم بنظامه ، ولما افتتحت الجامعة المصرية القديمة عام ١٩٠٨ التحق بها وانتظم فى دروسها .

مهدى علام . مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما (المجمعيون) القاهرة ــ مجمع اللغة العربية ١٩٦٦ . د. شوقى ضيف : الأدب العربى المعاصر فى مصر ١٨٥٠ــ١٩٥٠ القاهرة ــ دار المعارف١٩٥٧ ص٢٤٢ .

(٢) عن تفاصيل افتتاح الجامعة انظر كتابنا « الجامعة المصرية نشأتها ودورها فى المجتمع » القاهرة ــ دار الكتاب الجامعى . الطبعة الأولى ١٩٨٠ .

والتقويم وتدفعه الى الابتكار اذا كان من أصحاب الاستعداد له كما تفتح له أبواب البحث لكى يضيف الى العلم جديدا [٣] .

سمع طه حسين فى الجامعة دروس أحمد زكى باشا فى الحضارة الاسلامية ، ودروس أحمد كمال باشا فى الحضارة المصرية القديمة ، ودروس اجناتسيو جويدى Ignazio Guidi فى أدبيات الجغرافيا والتاريخ ودروس ليتمان Litmann فى تدريس اللغات السامية وخصوصا السريانية وأصول العبرية والحبشية كذلك درس له نلينو تاريخ الفلك عند العرب ثم تاريخ الأدب العربى ، كما درس له سانتلانا تاريخ الفلسفة الاسلامية ، وكان أثره عميق على ثقافة طه حسين .

وكذلك حضر دروس الأستاذ ميلونى فى تاريخ الشرق القديم وخصوصا تاريخ بابل وآشور وسومر .

وقد بدأ طه حسين فى تعلم اللغة الفرنسية منذ عام ١٩٠٨ فلما آنس فى نفسه قدرة على متابعة الدروس التى تلقى بها حضر دروس الأدب الفرنسى التى كان يلقيها الأستاذ لويس كليمان Louis Clement الذى كان أستاذا فى جامعة ليل Lille وانتدب للتدريس فى الجامعة المصرية آنذاك ، واستمع الى دروس الجغرافيا التى كان يلقيها اسماعيل رأفت [٤] .

---

(٣) د. عبد العزيز شرف : طه حسين وزوال المجتمع التقليدى . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ص ٢٨ .

(٤) د. عبد الرحمن بدوى (اشراف) الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين دراسات مهداة من اصدقائه وتلاميذه . القاهرة — دار المعارف ١٩٦٢ ص ١٠ — ١١ .

وقد تجلى نشاط طه حسين فى دراسته بالجامعة وتفوقه على أقرانه ، ونال الدرجات العظمى فى معظم المواد التى امتحن فيها [٥].

ولما أعلنت الجامعة عن وجود بعثتين من بعثاتها الى فرنسا احداهما لدراسة التاريخ والأخرى لدراسة الجغرافيا أرسل طه حسين الى رئيس الجامعة خطابا يعلن فيه حرصه الشديد على أن يكون أحد الطالبين واختار دراسة التاريخ كما أعلن عن رغبته فى أن تجعل الجامعة مقياسها فى اختيار المبعوثين وأن يستثنى من شرط الحصول على الشهادة الثانوية على أساس أنه درس بالجامعة وأحرز الدرجات العظمى فى كل العلوم التى امتحن فيها وهذا يقوم مقام الثانوية العامة ويزيد كما أوضح أن فقدان بصره لم يعقه عن سماع دروس الأساتذة. ولما عرض خطاب طه حسين على مجلس ادارة الجامعة كان نصيبه الرفض على أساس أن صاحبه لا يحمل الشهادة الثانوية وان ارساله الى أوربا سيكلف الجامعة نفقات اضافية ، لأن الطالب الكفيف لابد أن يكون له رفيق يساعده على الذهاب الى الجامعة ويقرأ له مايحتاج الى قراءته من الكتب [٦] وقد زاد رفض الجامعة لطلب طه حسين من اصراره ، فرفع الى رئيس الجامعة كتابا آخر ذكر فيه أنه لا يطلب من

---

(٥) نال طه حسين الدرجات العظمى فى تاريخ الشرق القديم عن السنتين الأولى والثانية وفى علم تقويم البلدان عن السنة الأولى وفى علم مقارنة اللغات السامية عن السنتين الأولى والثانية وفى تاريخ المذاهب الفلسفية عن السنة الأولى وفى الفلسفة العربية وعلم الاخلاق عن السنة الأولى ، وفى تاريخ آداب اللغة العربية عن السنتين الأولى والثانية ، وفى آداب اللغة العربية عن السنتين الأولى والثانية وفى تاريخ الأمم الاسلامية عن السنة الثانية، ٢٩ من ٣٠ عن السنة الأولى الجامعة المصرية. تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بسراى الجامعة فى الثلاثاء ٢٩ أبريل ١٩١٣ عن حالة الجامعة فى السنة المكتبية ١٢ — ١٩١٣ ص ١٤ مكرر .

(٦) طه حسين : الأيام حـ ٣ القاهرة — دار المعارف . الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٤٨ — ٥١ .

النفقات فى البعثـــة الا المقـــدار الذى يطلبه غيره من الطلاب ، واذا كانت الطبيعـــة قد حالت بينه وبين نعيم الحيـــاة ــ فحرمتـــه من نعمة البصر ــ فما ينبغى أن تكون الجامعة عونا للطبيعـــة على حرمانه لذة الانتفاع بالعلم والنفع به .

ورفض مجلس الجامعة خطاب طه حسين الجديد كما رفض الأول بحجة أنه لا يعرف الفرنسية حق معرفتها ، وأراد المجلس أن يخفف من لهجة الرفض فصاغه فى صيغة التأجيل حتى يحسن اللغة الفرنسية مطمئنا الى أنه لن يجد الى احسانها سبيلا ، ولـــكن طه حسين ازداد تصميما وأخذ يدرس الفرنسية ، ولمـــا اتقنها كتب الى رئيس الجامعة أنه وصل فى هذه اللغة الى مقدار لا بأس به ، كما أنه سيتقدم لامتحان العالمية فى قسم الآداب فقبل مجلس الادارة التحدى ، واشترط لسفر طه حسين حصوله على العالمية (الدكتوراه) (٧) وفى تلك الأثنـــاء لم يكن التقليد قد جرى على أن يعد الطالب رسالته تحت اشراف أستاذ لذلك أخذ طه حسين يتخير موضوعا للرسالة التى سيقدمها لنيل الدكتوراه من الجامعة ، فحاول أن يدرس ما أحدثته الفارسية فى العربية من الأثر أيام بنى العبـــاس ، ولـــكن اللغة الفارسية حالت بينـــه وبين هـــذا الموضوع فعرج لدراســـة الروح الدينى فيما ترك الخوارج من الآثار الأدبية ، ولـــكن قلة هذه الآثار حالت بينه وبين القـــدرة على تصوير هذه الروح تصويرا واضحا (٨) فحاول أن يدرس ماحدث من اختلاف مذاهب الشعراء فى التعبير عن أغراضهم فى صـــدر الدولة العباسية، ولـــكنه أعرض عنه ، وعرض عليه أن يدرس حياة الجاحظ ولـــكنه لم يوفق الى أكثر كتبه ، ولمـــا عرض عليه دراسة حيـــاة أبى العلاء رأى أن بينه وبين هـــذا الرجل تشابها فقد حرم كلاهمـــا من نعمة البصر

---

(٧) نفسه ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٨) طه حسين : تجديد ذكرى ابى العلاء . القاهرة ــ دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٥٨ ص ٦ .

فأقبل على دراسته، واستمع الى قراءة ماكتب عنه من القدماء والمحدثين ومن العـرب والفرنج ، كما استمع الى كتب أبى العـلاء نفسه مثل اللزوميات ، ورسالة الغفران وغيرهما وقد وصل الى نتيجة طبيعية فى ذلك وهى فهم فلسفة أبى العـلاء ، وردها الى مصادرها وفهم الروح الأدبية لهذا المفكر العربى ، ووضعه فى مكانتـه الطبيعية بين الأدباء العرب بعد أن كانت آثاره الأدبيـة والفلسفية لا يعلم عنها الكثير كما تطرق طـه حسين الى دراسـة أحـوال الأمـة العربيـة فى عصر أبى العلاء [٩] .

وقدم طه حسين بحثـه الى الجامعة بعـد أن انتهى من كتابته فحددت له يوم الاثنين ٤ مايو ١٩١٤ موعـدا لمناقشته [١٠] ، وطبقـا للائحة الجامعة اختار مجلس القسم موضوعين آخرين بخلاف الرسالة لامتحانه فيهما وهما :

١ ــ علم الجغرافيا عند العرب .

٢ ــ المقارنة بين الروح الدينية للخوارج فى أشعارهم وفى كتب المتكلمين .

وتألفت لجنـة الامتحـان من الأسـتاذ محمد الخضرى رئيسا والأستاذين اسماعيل رأفت بك والشيخ علام سلامة المنتدبين من نظارة المعارف وكان اجتماع اللجنة بهيئة علنية أمام جمهور كبير من الناس،

---

(٩) طه حسين : تجديد ذكرى ابى العلاء . ص ٧ .

(١٠) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية فى ٢٤ مايو ١٩١٤ ص ٢٦ . بينما يذكر الدكتور طـه حسين أن موعـد الامتحان كان الثلاثاء الخامس من مايو ١٩١٤ .

انظر الأيام حـ ٣ ص ٦٠ ، تجديد ذكرى ابى العلاء صفحة الغلاف .

واستمرت المنـــاقشة حوالى ثلاث ساعات ذهب أكثرها فى جدال عنيف بين الشيخ المهدى وطه حسين [١١] .

وبعد مناقشة الشيخ طه حسين فى رسالته وفى الموضوعين اللذين اختارهما له مجلس القسم اجتمعت لجنة الامتحان للمداولة ، وبالرغم من أن رأيها كان حسنا فى الطالب وكانت تريد أن تمنحه أحسن القابها فان الشيخ المهـــدى أصر على منح الرسالة تقدير جيد جدا بدلا من فائق وقـــد نزلت اللجنة عند رأيه [١٢] وقررت منح الطالب طه حسين درجة جيد جدا فى الرسالة ، ودرجة فائق فى الجغرافيا عند العرب ، ودرجة فائق فى موضوع الروح الدينية للخوارج [١٣] .

وكانت هذه الرسالة هى أول بحث قدم الى الجامعـــة ، وامتحن فيه صـــاحبه فى مناقشة علنية ، وكان لذلك صدى كبير بين أوســـاط المصريين فأعلن علوى باشا عضـــو مجلس ادارة الجامعـــة عن تبرعه بجائزة قـــدرها عشرون جنيها لطه حسين الذى يعتبر أول طالب حصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية [١٤] كما تنبأت احدى الصحف فى تعليق لها على نجاح طه حسين بمستقبل كبير له [١٥] .

---

(١١) كان سبب الجدال ماذكره طه حسين فى رسالته « وزعم شيخنا المهدى » فأسرها الشيخ المهدى فى نفسه .
عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ص ١١ .
ويذكر طه حسين ان سبب الخلاف بينه وبين الشيخ المهدى كان حول راى ابى العلاء فى البعث .
للتفاصيل انظر : حديث الأربعاء حـ ٣ ص ٤٤ .

(١٢) حديث الأربعاء ص ٤٤ .

(١٣) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية فى ٢٤ مايو ١٩١٤ ص ٢٦ .

(١) طه حسين : الأيام حـ٣ ص ٦١ .

(١٥) الاهرام فى ٢٠ يونية ١٩١٤ .

والواضح أن ماكتبه طه حسين عن أبى العلاء يعتبر نقطة تحول كبير فى مناهج الدراسة الأدبية فى مصر فى العقد الثانى من القرن العشرين اذ درس أبا العلاء وآثاره وبيئته وعصره والمؤثرات التى أثرت فى أدبه وفلسفته دراسة يتضح منها سلامة الأحكام واتقان فهم النصوص وتحليلها [١٦] فقد اتخذ طه‌حسين فيه من شخصية أبى‌العلاء درسا لعصره واستنبط ما أحاط بحياته من مؤثرات .

وقد كان هذا البحث أول دراسة فى تاريخ الأدب‌العربى تستخدم فيها الدراسات الاجتماعية والنفسية استخداما واعيا لاضاءة الجوانب الفكرية [١٧] مما يوضح لنا الفرق بين منهج الدراسة فى الجامعة ومنهج الدراسة فى الأزهر وقد أوضح طه حسين ذلك فى مقدمة بحثه فشرح منهج الأزهر فى دراسة الآداب العربية ممثلا فى الشيخ سيد بن على المرصفى مدرس الأدب فى الأزهر ومنهج الجامعة ممتلا فى بحثه [١٨] .

ومنذ أن أخرج طه حسين رسالته عن حياة أبى العلاء المعرى بدأت متاعبه مع بعض الأزهريين ، فقدم عبد الفتاح الجمل ، وكان عضوا بالجمعية التشريعية عن بورسعيد باقتراح يطلب فيه أن تقطع الحكومة معونتها عن الجامعة لأنها أخرجت ملحدا ، وكان سعد زغلول رئيس لجنة الاقتراحات فلما عرض عليه هذا الاقتراح دعا المقترح للقائه ، وطلب اليه أن يعدل عن اقتراحه فلما أبى قال له ان أصررت

---

(١٦) الهلال : العدد الثانى من السنة الرابعة والسبعون فى اول فبراير ١٩٦٦ ص ٥٥ مقال للدكتور شوقى ضيف تحت عنوان « طه حسين والدراسات الادبية » .

(١٧) الهلال : العدد السابق ص ١٠٣ مقال للدكتور شكرى عياد تحت عنوان « طه حسين والثقافة اليونانية » .

(١٨) للتفاصيل انظر : طه حسين : تجديد ذكرى ابى العلاء ص٨ ، الأيام ج٣ ص ١٤٠ .

على موقفك فان هنـــاك من سيقدم اقتراحا آخر يطلب فيه من الحكومة أن تقطع معونتها عن الأزهر لأن طـــه حسين تعلم فى الأزهر قبل أن يتعلم فى الجامعة فاضطر الرجل أن يسحب اقتراحه [١٩] .

ولمـــا كان مجلس ادارة الجامعـــة قـــد اشترط على طه حسين الحصول على الدكتوراه حتى يمكن ضمه الى بعثـــة الجامعة المسافرة الى أوربا فقـــد كتب طه حسين الى الجامعة يطالبها بتنفيذ وعدها ، والحاقه ببعثتها ، وقد وافقت الجامعة على ضمه الى بعثتها وايفـــاده الى مونبليه [٢٠] لدراسة العلوم التاريخية [٢١] وحددت الأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٤ كموعد لسفره .

واستعد طه حسين للسفر ، ولـــكن اعلان الحرب العالمية الأولى جعل الجامعة تسترد طلابها من أوربا ، وتوقف ارسال البعثة الجديدة، فأراد طه حسين أن يشغل نفسه بما يفيد الجامعة فطلب من رئيسها أن يقوم بتدريس آداب اللغـــة العربية فى الجامعـــة بغير أجر حتى تنتهى الحرب ، ولمـــا عرض الأمر على مجلس ادارة الجامعـــة وافق عليه بشرط أن يتقـــاضى الدكتور طه أجرا عن قيـــامه بالتدريس . ولم تمض فترة حتى دعت الجامعة الدكتور طه حسين للسفر فسافر الى مونبليه ، والتحق بجامعتها وعكف على اتقـــان اللغـــة الفرنسية

---

(١٩) طه حسين : الأيام ج٣ ص ١٤٠ .

(٢٠) اتفق على ارسال البعثة الى جامعة مونبليه الشهيرة فى جنوب فرنسا نظرا لان باريس كانت قريبة من ميدان القتال ، ومهددة بالسقوط فى يد الألمان .

الهلال : العدد الثانى من السنة الرابعة والسبعون فى اول فبراير ١٩٦٦ ص ١٣ تحت عنوان « عميد الأدب ومعجزة الأيام » .

(٢١) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة فى يوم الخميس ١٧ يونية ١٩١٥ عن حالة الجامعة فى السنة المـــكتبية ١٤ ـــ ١٩١٥ ص ١٦ .

وحضور دروس فى الأدب الفرنسى والتاريخ الحديث فضلا عن دروس العلامة فوكو فى علم النفس ، وفى مونبليه أيضا تعرف طه حسين على الفتاة التى قدر لها أن تصبح زوجته فيما بعد (٢٢) .

واظب طه حسين على دراسته فى مونبليه نحو عام ثم عاد فى نهايته الى مصر مع من عادوا من مبعوثى الجامعة نظرا لتدهور احوال الجامعة المالية . وبعد عودته سعى لكى يعين مدرسا لتاريخ آداب اللغة العربية فى الجامعة ، وكان الشيخ محمد المهدى يدرس هذه المادة ، وكادت مساعى طه حسين أن يقدر لها النجاح لولا أن الشيخ المهدى تطوع لتدريس هذه المادة بالمجان ففضلت الجامعة التى كانت تمر بأزمة مالية عرض الشيخ المهدى (٢٣) .

وواظب طه حسين على حضور بعض الدروس التى كانت تلقى فى الجامعة وما أن استمع الى درس الأستاذ المهدى عن الأدب الأندلسى حتى انتقده نقدا عنيفا ، وقارن بين هذا الدرس وما رآه فى فرنسا على صفحات جريدة السفور ، ولم تكن المقارنة مرضية للشيخ المهدى (٢٤) فدارت معركة أدبية بينه وبين أستاذه معركة لا تقبل فى قول الحق لومة صديق أو ترعى قدسية أستاذ فذكر طه حسين أن الدرس الذى سمعه كان أشبه بمعرض الصور المتحركة تمر فيه ظلال الشعراء فلا يعرف السامع منه أكثر من أسماء الشعراء فقط ، كما أن الأستاذ ينسب شعر ابن هانىء لابن خفاجه ثم يعتذر اذا أنكر عليه أحد الطلبة ذلك ، كما ذكر بأن هذا الدرس لايدل على أنه درس جامعى وانما هو نوع من الحديث البديهى الارتجالى الذى يستفز

---

(٢٢) د. حمدى السكوت وآخر . المرجع السابق . ص ٩ .

(٢٣) محمد سيد كيلانى : طه حسين الشاعر الكاتب . القاهرة ١٩٦٣ ص ١٢١ .

(٢٤) طه حسين : حديث الأربعاء جـ٣ . ص ٤٤ .

سامعيه بما يعرض فيه من الغزل والوصف ثم حمل على أسلوب التدريس فى الجامعة بوجه عام وتحدث عن جدواه [٢٥] .

ولم يكد يقرأ الأستاذ المهدى ماكتبه عنه طه حسين حتى تملكه سخط شديد [٢٦] ، وحدثت أزمة نشرت الصحف أنباءها أياما متوالية ، وقد اعتبرت بعض الصحف أن نقد طه حسين لأستاذه نقدا علميا خالصا تناول علم الأستاذ مباشرة ، وهذا من حقه لأن مدأ التستر على الخطأ العلمى مبدأ شديد الخطر على الحياة الأدبية للأمم [٢٧] .

وكتب الشيخ المهدى الى مجلس ادارة الجامعة يشكو طه حسين، ويذكر أن انتقاد أحد تلاميذه له على هذا النحو يعتبر اهانة له لذلك فهو يطلب من مجلس الادارة توقيع عقاب شديد على الدكتور طه حسين الذى ارتكب هذا الجرم الشنيع بأن يشطب اسمه من قائمة خريجى الجامعة الذين يتعلمون على نفقتها فى فرنسا [٢٨] وكاد يتحقق طلبه ، وقد أوضح طه حسين ذلك بقوله « كان من الممكن جدا أن يوفق الأستاذ فى حرمانى هذه العودة ، وأذكر أن المرحوم علوى باشا دعانى ذات صباح الى الجامعة فذهبت ، فلما دخلت عليه استقبلنى استقبالا سيئا جدا ، وكان شديد الحب لى والعطف على وقال ماذا كتبت عن أستاذك الشيخ مهدى ، قلتكتبت رأيى فى درس من دروسه، قال فى عنف ولكنك تجاوزت مع أستاذك حد الأدب ، اذهب واعتذر

---

(٢٥) السفور : العدد ٢٧ من السنة الأولى فى ٣ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « يوم ٣٠ نوفمبر فى الجامعة المصرية » .

(٢٦) طه حسين : المرجع السابق حـ٣ . ص ٤٤ .

(٢٧) السفور : العدد ٣٠ من السنة الأولى فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « باب النقد » .

(٢٨) السفور العدد ٣١ من السنة الأولى فى ٣١ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « على ذكر حادثة » .

اليه والا فان الجامعه لن ترضى منك هـذا ، وستكون عاقبـة هـذا الموقف سيئة جـدا ، أجبتـه ماكنت لاعتذر عن رأى أراه وانصرفت معاضبا » [٢٩] .

انتقدت احدى الصحف طلب الشيخ المهدى ، وطلبت منه عـدم المبالغه والتهويل فى ذلك الأمر الذى يمكن أن يتجنب الوقوع فيه اذا مازاد اهتماما بتحضير دروسه [٣٠] .

وقد أثارت هذه المسألة ضجه كبيرة فى الصحف ، ووضعت أساسا للنزاع بين المحافظين والمجددين فقد أعطى الشيخ المهدى المثال الكامل عن الأدباء الذين تعلموا فى الأزهر وامتلأت عقولهم بما حوته الـكتب العربيـة القديمة ومهما بلغ من تقـدم هؤلاء الأدباء فى العلم فانهم ينميزون بنقص كبير فى التحليل والطرافة العلميـة والتمسك الشديد بالتقاليد الأزهـريه الموروثه والتى أصبحت لا تنـاسب العصر . أما الدكتور طه حسين فهو محب للتقدم له فـكر واسع ، ولا يطيق مثل طريقة الشيخ محمد المهدى فى التدريس [٣١] فقد كانت دراسته بأوربا واستعداده النفسى وما كان مهيئا بداخله من بذور العناد والثورة هى العوامل الحقيقية فى وقوفه أمام الشيخ المهدى وأضرابه من الأزهريين .

وذكرت احدى الصـحف أن من الواجب تقوية روح النقـد فى نفوس المصريين لأن هذه الطريقة هى الوحيـدة التى يمكن أن تؤدى الى نشر العلم الصحيح بين الناس [٣٢] .

---

(٢٩) طه حسين : المرجع السابق جـ٣ ص ٤٤ ــ ٤٥ .
(٣٠) السفور : المقال السابق .
(٣١) السفور : المقال السابق .
(٣٢) السفور : العدد ٢٩ من السنة الأولى فى ١٧ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « حريه النقد » .

وجرت محاولات للتوفيق بين الطرفين فطلب علوى باشـــا الى الأستاذ على بهجت سكرتير مجلس الجامعـــة وقتئذ أن يجمع بين طه حسين والشيخ المهدى ويجتهد فى الاصلاح بينهما ، وقد تم الاجتماع فى دار الآثار العربية [٣٣] واعتذر طه حسين الى الشيخ المهدى عمـــا رآه الشيخ ماسا بكرامته [٣٤] وانتهت المسألة عند ذلك، فاجتمع مجلس الجامعة وأقر الصلح [٣٥] ، ونشر سكرتير مجلس الجامعة بيـــانا فى الصحف قال فيه « اجتمع لدى الأستاذ الشيخ محمد المهدى والدكتور طه حسين وتكلما فى شأن مانشر بجريدة السفور .. وتفاهما تفاهما حسنا ، واعتذر الشيخ طه حسين الى الأستاذ الشيخ المهدى عما رآه الشيخ المهدى ماسا بكرامته » [٣٦] .

ويلاحظ من هذا البيان أن طه حسين لم يعتذر عن رأيه العلمى ولم يتنازل عنه أو يتراجع ، وانما اعتذر فقط « عما رآه الشيخ المهدى ماسا بكرامته » .

وزاد لطفى السيد فى ترضية الشيخ المهدى فحضر مع طه حسين وآخر من أساتذة الجامعة درسا من دروس الشيخ المهدى فلما انتهى وقف لطفى السيد ووجه الشكر للاستاذ [٣٧] .

ومن وجهة نظرنا فانه كان من المنتظر من الشيخ المهدى أن يرد على نقد طه حسين ردا علميـــا وأن يبرهن على موقفـــه ويدافع عن

---

(٣٣) طه حسين :حديث الأربعاء حـ ٣ ص ٤٥ .
(٣٤) السفور : المقال السابق .
(٣٥) طه حسين : المرجع السابق حـ٣ ص ٤٥ .
(٣٦) الهلال : العدد الثانى من السنة الرابعـــة والسبعين فى أول فبراير ١٩٦٦ ص ٩١ مقال للاستاذ أنور الجندى تحت عنوان « صفحات مجهولة من حياة طه حسين » .
(٣٧) الهلال : العدد السابق .

وجهة نظره فى شرح درسه ، ولـكن الواضح أنه أحس بأن قـدرة الدكتور طه حسين العلمية كفيلة بتفنيـد ودحض آرائه بما يزيد فى حرج مركزه العلمى بين أوساط المثقفين وبوجه خاص بين رجال الجامعة فآثر الشيخ المهدى عندئذ الخروج بالخلاف من الاطـار العلمى الى الناحية الشخصية والواقع أن مادرسه طه حسين فى مونبليه رسم فى ذهنه صورة مثاليـة لشموخ الدراسـات الجامعيـة مما دفعـه الى نقد أستاذه .

وظل طه حسين يتردد على الجامعة المصرية فى انتظار العودة الى فرنسا ، ولما انفرجت أزمة الجامعة المالية بعد أن دفعت وزارة الأوقاف باقى الاعانه المقررة للجامعة قررت الجامعة اعادة طلبتها الى أوربا[٣٨] وطلبت من طه حسين الاستعداد والتأهب هو وزملائه أعضاء البعثـة لمقابلة السلطان حسين كامل قبل السفر ، وبعـد أن تم اللقـاء منح السلطان كلا منهم مبلغ خمسين جنيهـا [٣٩] ، وسافر طه حسين الى فرنسا فى ديسمبر ١٩١٥ ولـكنه لم يذهب هذه المرة الى مونبليه بل قصد باريس ، والتحق بكلية الآداب بجامعتها ، وأخذ على نفسه وعدا بأن تكون حياته فى أوربا مثالا صالحا لمـا يجب أن يكون عليه المصرى فى الغرب من الحياة الصادقة المملوءة بالجد والعمل [٤٠] .

وقد استقامت للدكتور طه حسين دروسه فى السربون فـدرس مايتصل بمصادر الحضارة الأوربية كالتاريخ اليونانى والرومانى فضلا عن التـاريخ الحـديث كما درس علم الاجتماع على يد البروفسور

---

(٣٨) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بسراى الجامعة يوم الخميس ٢٩ يونيو ١٩١٦ عن حالة الجامعة فى السنة المـكتبية ١٥ ــ ١٩١٦ ص ٢٨ .

(٣٩) طه حسين : الأيام حـ٣ ص ٩١ ــ ٩٢ .

(٤٠) السفور : العدد ٣٠ من السنة الأولى فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٥ تحت عنوان « قبل الرحيل » .

ايميل دوركايم Durkheim ولما أحس بأن أساتذته فى السربون سيكلفونه باعداد أبحاث اختار لنفسه أستاذا من أساتذة المدارس الثانوية ليعلمه اللغة الفرنسية تعليما منظما حتى يجيدها ويحيط بأسرارها اللغوية (٤١) .

ولقد أحس طه حسين بأن عليه مهمة يجب أن تتم فهو مسئول أمام جامعة فى مصر تنتظر منه الحصول على أعلى الشهادات ، فأزمع أن يظفر قبل كل شىء بدرجة الليسانس ، ثم يتقدم لدرجة الدكتوراه ودبلوم الدراسات العليا بعد ذلك ، ولم يكن الطلاب المصريون فى ذلك الوقت يحاولون الظفر بدرجة الليسانس هذه لأنها كانت تكلف الذين يطلبونها عناء ثقيلا ، فكانت تكلفهم اتقان الفرنسية واللاتينية (٤٢) ، واستطاع طه حسين أن يظفر بالليسانس عام ١٩١٧ بتشجيع ومساعدة زوجته سوزان له ، وكان قد اقترن بها فى ٩ أغسطس ١٩١٧ (٤٣) .

وقد أبلغ دل حسين الجامعة المصرية بحصوله على الليسانس فبرقت اليه تهنئه وأرسلت اليه مكافأة قدرها عشرون جنيها (٤٤)

ثم أعد طه حسين رسالته للدكتوراه عن فلسفة ابن خدون الاجتماعية وعنوانها « دراسة تحليلية نقدية عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون »

Etude analytique et Critique de la Philosophie Sociale d,Idn Khaldoun, Paris, 1917, (Thése des Lettres de &' Universite de Paris)

---

(٤١) طه حسين : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٠٧ .
(٤٢) نفسه ، ص ١١٧ .
(٤٣) وافقت الجامعة المصرية بأغلبية صوت واحد (٤ — ٣) على السماح للدكتور طه حسين بالزواج من سوزان نظرا لظروفه الخاصة وحاجته الى من يقرأ له .
(٤٤) ط ه حسين : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٢٠ .

وكانت هذه الرسالة تحت اشراف كل من دوركايم [٤٥] والمستشرق كازانوفا ومع أن طه حسين كان موفدا من قبل الجامعة المصرية الى فرنسا لدراسة العلوم التاريخية فان الموضوع الذى اختاره أقرب الى علم الاجتماع منه الى علم التاريخ ، ويذكر طه حسين فى أسباب اختياره لهذا الموضوع أن تاريخ آداب اللغة العربية منذ عصر الجاهلية الى العصر الحاضر يذكر لنا رجلين يمتاز كل منهما بابتكار خارق لم يتصف به أحد من المسلمين ، أولهما أبو العلاء المعرى والآخر ابن خلدون ولما كان طه حسين قد درس حياة أبى العلاء ومؤلفاته فى الرسالة التى قدمها الى الجامعة المصرية عام ١٩١٤ فقد رأى أن يدرس ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية فى الرسالة التى سيقدمها الى السربون ، وشجعه على ذلك أن الأستاذ كازانوفا المشرف على رسالته كان مولعا بالدراسات التى تتناول سيرة ابن خلدون [٤٦] .

أخذ طه حسين يقرأ المصادر العربية والفرنسية كما ترجمت له نصوص أخرى من لغات أوربية مختلفة ، ومده المسيو كازانوفا بثبت من المراجع التى تخص الموضوع ، كما أعاره بعض الكتب التى كان فى حاجة اليها ، وبعد عامين من الدراسة والبحث أخذ طه حسين فى املاء رسالته ثم عرضها على الأستاذ كازانوفا لمراجعتها ، ولما قرأها أذنت له السربون فى طبعها توطئة لمناقشتها .

ولما كان نظام مناقشة الدكتوراه فى فرنسا يشبه النظام الذى كان معمولا به فى مصر آنذاك ، والذى يقضى بامتحان الطالب فى موضوعين — سبق تحديدهما له — قبل مناقشة الرسالة فقد امتحن طه حسين فى موضوعين هما :

---

(٤٥) حين توفى « دور كايم » خلفه الأستاذ « سلستان بوجليه » .

(٤٦) طه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . تحليل ونقد — ترجمة محمد عبد عنان . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٩٢٥ ص ٥ — ٧ .

١ ــ « علم الاجتماع كما يتصوره أوجست كونت » •

٢ ــ « القضـــايا التى رفعت على حكام الأقاليم كما يصـــورها بلينوس الشاب فى رسائله » •

كما نوقش طه حسين فى الرسالة المقدمة منه فى يناير ١٩١٨ •

وانتهت لجنة المتحنين الى قرار بترشيح طـــه حسين لدرجـــة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة ومع تهنئة اللجنة (٤٧) •

وقد حفز ذلك النجاح الباهر الدكتور طه حسين الى الحصول على دبلوم الدراسات العليـــا قبل العـــودة الى مصر ، وتحقق له ذلك فى يونيو ١٩١٩ •

وهكذا كانت المسيرة العلمية لطه حسين الفتى الذى جاء من أعماق صعيد مصر وانضم الى أعرق جامعة فى أوربا وهى جامعة السربون ، وحصل منها على أعلى الشهادات العلميـــة وهى شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة مثالا للمثـــابرة والعزيمة القوية والاصرار على تخطى الصعاب التى واجهته ولمـــا عاد الدكتور طه حسين الى مصر عين أستاذا بالجامعة المصرية •

---

(٤٧) طه حسين : الأيام حـ ٣ ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .